إمكانية التعبير بدقة بالمصطلح المعرب مؤسسة «بروسيدار» للحديد والصلب نموذجا

الاستاذ / محمـــد طبـــي(*)

مـــدخـــل :

كانت الثقافة العربية راسخة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، ذلك أن اللغة العربية قد انتشرت بعد الفتح الإسلامي العربي، في القرن الثامن الميلادي، وحافظ عليها الشعب الجزائري عبر القرون[1] الموالية، إلى أن بليت - كبلدان عربية أخرى - باستعمار فرنسي دام مائة واثنتين وثلاثين (132) سنة من الاحتلال.

وتميز الاحتلال الفرنسي للجزائر بظاهرة مغايرة، تمثلت في سن قانون «اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية لا يجوز تعليمها» [2]. ورغم هذا المنع فإن المواطنين لم يتوانوا في تدبر أمر تعلم لغتهم خفية، شعارهم في ذلك: «العربية لغتنا، والإسلام ديننا، والجزائر وطننا» [3]، وبطرق تقليدية، طيلة الحقبة الاستعمارية. ولم يقتصر الاستعمار على هذا المنع، بل عمد منذ أوائل السنوات الأولى للاستعمار إلى خطة تنم عن تشويه مدمر للغة العربية، إذ استعمل كلماتها في غير محلها؛ وحروفها؛ للنطق بألفاظ فرنسية، ودرّب الكثير من المعمرين والأوروبيين، والضباط والعساكر، وأعوان الإدارة عن هذا النهج المحرّف. وهم الذين تكفلوا بالترويج اللغوي الخاطئ في ممارساتهم الادارية والعسكرية مع المواطنين. وكان طموح المستعمر تكوين لغة جزائرية خاصة، بعيدة عن العربية الفصحى، لفصل الجزائر العربية عن الوطن العربي.

ولا يمكن الانكار مطلقا، على أن مدارس وزوايا وحلقات... كانت تقام في الخفاء لتعليم العربية. ولكن لانعزالها عن التواصل والتقارب عربيا، فقد كانت سيئة الطالع محدودة العطاء الفكري، وقد انتقد الشيخ مبارك الميلي كتبها قائلا: « ... هي كتب سيئة الأثر في النفوس، تطبع المرء بعقيدة الاتكال على ما وراء الطبيعة، وعدم السعي في هذه الدنيا حسب قوانينها» [4].

(*) مساعد رئيس مدير عام مؤسسة «بروسيدار»

هاته هي اللغة العربية المستلمة عشية استقلال الجزائر.

الانطلاق في التعريب :

بحصول الجزائر على استقلالها، انطلقت في بناء نفسها على عدة جبهات، واحتلت اللغة العربية مرتبة عليا في اهتمام السلطة بالقضية. ورغم مرور وتعدد الأجهزة الحاكمة، فإن المرتبة ظلت دائمة الاهتمام.

وكان الجزائريون في هاته الحقبة - وهم في غمرة الحديث عن كيفيات استعادة العربية - يتخاطبون بالفرنسية. واقترنت العربية - رغم ضعفها - وضعف القليل من متحدثيها، ونقص متقنيها... - بمكسب ثوري وطني راود عامة الناس، باستثناء فئة فرنكفونية (LA FRANÇOPHONIE). «ذاك أنها ورثت ثقافة متغربة، ولغة هجينة، وكان عليها أن تواجه ذلك كله في وقت واحد، ودون إرجاء أو إبطاء» [5].

والتعريب رغم اختلاف مفاهيمه الجغرافية، عبر امتداد رقعة الوطن العربي، فإنه في الجزائر أخذ في البداية مفهوم إحلال اللغة العربية مكانة اللغة الفرنسية في كل الحقول والميادين، من حكومات ودواوين ومؤسسات ووضعت هاته الهيئات مخططات ومنهجيات لإدماج التعريب [6] في الحياة العملية اليومية للعاملين بدون استثناء.

وكان الدافع القوي: الحماس المفرط والعاطفة الجياشة وعزة الانتصار... وهي العناصر التي امتاز بها سياق التعريب «ومن هنا نقول إن التعريب في هذا القطر كان يبدأ من الصفر، ولكن ما يميز عملية التعريب في الجزائر عنها في الأقطار العربية الأخرى، القريبة منها والبعيدة، هو أنها عملية مقصودة وراءها عزم وتصميم وإرادة. ترسم مسيرتها خطط ومتابعة جادة» [7].

الظروف الثقافية :

نتيجة سياسة التسهيل المعتمدة من طرف الاستعمار تجاه الأطفال الجزائريين، فقد كانت نسبة الأمية في الجزائر، غداة الاستقلال 92٪. والنسبة المتبقية ذات الحظوة في التمدرس بالمدارس الفرنسية، هي فئة مفرنسة التعليم، غريبة الثقافة. وفئة لا تعد متعلمة، ذات تكوين ذاتي (AUTO DIDACTE) وأخرى تبنت تعليمها بلدان عربية أثناء ثورة التحرير الكبرى، وبدايات سنوات الاستقلال، ميولاتها شرقية، وثقافتها عربية / إسلامية.

هاته الشرائح الثلاث الغير متكافئة الفرص والعدد والنفوذ، هي البنية التحتية المكونة للغة الطبقة الثقافية، وهي بنية لا تساعد على انطلاق لغوي سليم الاستعمال، وغزير الألفاظ، ومتعدد العبارات عربيا.

ورغم أن بقاء الفرنسيين طال، وبإطالتهم بقت ثقافة منتشرة متجلية، لدى عامة الناس تلاحظ في تصرفاتهم.

إلا أن المتجلى أن شرخا ثقافيا حصل في هذا المسار، ولم تحصل عملية تثاقف (ACCULTURATION) بين الثقافة الفرنسية / الغربية؛ الزائلة، والثقافة الجزائرية / العربية؛ الوافدة، عبر اللغتين. وكان التصادم الذي أزاح الفرنسية

عنوة. ذاك أن «الملاحظ لعملية التعريب الشامل في الجزائر، ما نفّذ وما يزال تنفيذه، تمتلكه الدهشة من التبدل الثقافي واللغوي الذي تم في العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال على كل صعيد وكل مستوى»[8].

وخارج الاطار الرسمي بشكليه، السياسي والثقافي، المعبر والمقتنع باستعادة العربية لمكانتها الاصلية، يثار حوار هامشي غير بناء، يتزعمه طرفان: أحدهما يدعي أنه «معرّب» ويعمل من أجل أن تصبح العربية سيدة البلاد. والآخر يزعم بأنه «مفرنس» ويعمل على استعمال هاته اللغة لتفوقها - عالميا - وما شابه من أفكار.

حوار بيزنطي دائم، موقعه الشارع والمقهى، وجلسات «قتل الوقت». محاذاة لهذا؛ يقع على مستوى الاطار الثقافي، حوار بناء يشترك فيه ذوو اللسانين: العربي والفرنسي، من مثقفي هذا البلد يؤمنان فيه بإعادة اللغة الأم إلى عقر دارها، وإلى الإقبال على تعلم اللغات الأخرى[9].

اللغة العربية والمعرفة :

لقد أصبحت اللغة العربية عالمية، بفضل القرآن الكريم، واستوعبت الكثير من الحضارات المختلفة. ولم يذكر التاريخ أنها وقفت عاجزة أمام التعبير، عن مشهد من مشاهد المعرفة.

لقد أتقن العرب وأجادوا في كثير من الجوانب المتعلقة بتطوير الحياة الإنسانية.

فالأدوات المخترعة والمكتشفة للتحكم في مكونات الطبيعة، وتكريسها لخدمة الإنسان؛ طوال هاته المدة؛ رغم غياب الرصيد العلمي بالمفهوم الحديث، والمتداول اصطلاحا بيننا اليوم، يشهد بها. لقد برع الإنسان في كثير من التكنولوجيات، وطوّرها، وكيّفها لتتماشى واحتياجاته، ولازال ينكب ليكشف المزيد عن جوانب أسرار تقنيات هاته التكنولوجيات.

لا يخفى على أحد منا أن العلاقة بين اللغة والأمة، تقود إلى استنتاجات تبرز المستوى الحضاري للأمة.

وتثبت الأدلة في مجملها، على أن لا مناص من إعداد أناس يهتمون بترقية اللغة، وصياغة المصطلحات التي يحتاج إليها الناس. هؤلاء الناس الذين منهم: العلمي، والتقني، والمصطلحاتي، والأديب، والمترجم... فالمستنبط من المخترع والمكتشف، لا يمكن له النجاح دون تسمية تقرن به لتعمل على ترويجه وإشاعته، ثم استعماله بين الناس.

وبقدر ما تكون هاته التسمية سليمة، بقدر ما يكون استخدامها أسلم، وفهمها أدق. ومما لاشك فيه أن الترجمة والتعريب والمصطلحات، متلازمة فيما بينها، تقدم كخدمة أساسية لتحقيق عملية الإثراء اللغوي في القطاعات المختلفة النشاط.

نقص المعاجم المزامنة

يتعرض الباحثون العرب في خلق المصطلح لكل ما يجد من مفاهيم، مستعينين بوسائل أهمها: الوضع؛ القياس؛ الاشتقاق؛ المجاز؛ التوليد؛ النحت؛

التعريب والترجمة... وكلها وسائل هامة لإضفاء شرعية الغناء اللغوي، وتعمل على ترك اللغة كمجموعة مصطلحات متفتحة على العلم، وقادرة على الاستيعاب ومواكبة للتطور الحضاري...

إن اللغات الست المستعملة عالميا، والمتداولة بين رجالات السياسة والمعرفة والحكم، في رحاب المنظمات العالمية، تعتبر كل لغة من هاته اللغات أصلا لا ترجمة، أي لا تعترف عند التقاضي بالرجوع إلى لغة معينة من اللغات هاته، لحل أي غموض قد يطرأ.

لذاك، فالدقة في اشتقاق المصطلح، والاتفاق على توحيده، والعمل على شيوعه، أمر حتمي. ورغم تعدد قواميس الترجمة، وعلى مختلف أنواعها، فإنها لا تتعرض لبعض المصطلحات المستعصية بالمعالجة والدراسة لوضع المقابل. وهنا تكون حيرة المستعمل، وبهتانه أمام المصطلح المتعدد والمتنوع.

وإذا كانت القواميس والمعاجم تزخر بمختلف الكلمات، فإن هاته الكلمات الشمولية اللغة، لا علاقة لها بالأشياء المسماة - غالبا - ذاك أن هاته الذخيرة اللغوية وضعت في زمن غير هذا الزمان، وتحت مطلب احتياجي غير مطلب هذا اليوم.

عقبات وضع المصطلح العربي بالجزائر

اشتهرت اللغة العربية بالجزائر غداة الاستقلال على أنها لغة دين سماوي وأدب شعبي، وتطورت بفضل الاحتكاك بالبلدان العربية لتصبح لغة سياسة واقتصاد ورياضة، وفكر معبّر... هذا التوسع اللغوي الحاصل، نتيجة إبداعات مصطلحاتية (TERMINOLOGIQUE) خاصة بكل حقل معرفي، استجابة لميولات ولمتطلبات شرائح اجتماعية.

وفرة مصطلحات هاته الميادين، انحدر الكثير منها من وحي أصل اللغة الفرنسية عن طريق الترجمة، ونستثني هنا عوامل أخرى نتيجة علاقات ثقافية كانت قائمة بكل عناصرها بين اللغتين (الفرنسية - العربية) بمنطقة المغرب العربي ككل، وبالجزائر خاصة، والتي تضمحل تدريجيا.

ونتيجة لهاته العلاقات فرض المصطلح الفرنسي نفسه كحقيقة قائمة ذات مرجعية لابد منها لمعاشرة المستعمل في كثير من التصرفات اللغوية.

ذاك أن المصطلح العربي يتعرض في عالم الاستعمال الجزائري، إلى عدة اهتزازات نتيجة ضغط المصطلح الفرنسي، الموروث عن العهد الاستعماري.

فالمصطلحات الفرنسية المتعلقة بمختلف الميادين الحياتية، حتى أدق أدوات الانتاج، ومعالجة الافكار الانسانية، نجدها يسيرة رائجة، وعلى نطاق أوسع بين فئات المواطنين وحتى أولئك الذين لم يسعفهم الحظ في الوصول بمستواهم التعليمي إلى مراتب مقبولة يكونون محظوظين في التمكن من استعمال هاته اللغة.

والسبب في هذا أن المصطلح الفرنسي لا يخضع، إلى عملية خلق، فالمصطلحات وجدت في سوق استعمالنا نتيجة ضغط استعماري استيطاني وفكري.

فالمخترعات والمكتشفات بمسمياتها رائجة الاستعمال الكتابي والشفاهي، وهذا الرواج وليد الصدفة... صدفة الاستعمار.

أما المصطلحات العربية، فإن قضيتها تبدأ من حيث توقف استنتاجنا للمصطلح الفرنسي. فغزو اللغة الفرنسية بكل ما لها من سحر ومساندة، ضيق من حظوظ الإبداع والاستعمال للمصطلح العربي، ثم جري الناس وراء الاستعمال السهل، طبيعة بشرية. أما الرواد المعول عليهم في هذا المضمار، يقتصرون على ما جاد به الأولون علينا ولا يتحيرون من أجل وضع المصطلحات المعاصرة والمزامنة (CONTEMPORAINE) عن طريق البحث بالقنوات والمنهجيات المستحدثة (جذاذة رقم 2).

لذاك نلمس نقصا مصطلحاتيا للتعبير عن الكثير من حاجاتنا.

مدخل إلى اللغة التقنية

تثبت الدراسات المتعاقبة حديثا، على أن لكل حقل مصطلحاته التعبيرية في أية لغة، وبقدر الغناء المصطلحاتي في التجاوب مع المسميات، بقدر رواج اللغة كتابة ومشافهة.

فالثروة المصطلحاتية المنتجة تتماشى تجاوبا مع المسميات المبدعة لخلق علاقة وطيدة بين اللغة ككائن تعبير، متطور، والمسمى ككائن حقيقي ثابت الوجود، لا يكتب له النجاح والدوام إلا بها.

والتخصص اللغوي يأتي نتيجة الرغبة للتعبير بدقة عن مفهوم من مفاهيم التقنية. ذاك أن المنطق أو فن التفكير (LA LOGIQUE OU L'ART DE PENSER) في علم المصطلحات (LA TERMINOLOGIE) يفرض علينا إيجاد مصطلحات عن طريق قنوات اللغة.

والمؤكد أن لغتنا ساعدها الحظ على صياغة وفرة من المصطلحات للتعبير عن الدقيق من جزيئات الأمور الدينية، فتكونت لنا «لغة دين». وكذا في الحقل الأدبي، فقد تشكلت بفضل غزارة الشعر وعطاءات الفكر والممارسة «لغة أدب».

بقي أننا نعيش بعد هذا حضارة تعتمد على الأدوات التكنولوجية، إنتاجا وعملا وتسمية، بفضل العقل... هذا العقل الذي يعد لحضارة جديدة قوامها الوعي والإدراك.

نتائج تجربة مؤسسة ـ بروسيدار ـ في وضع المصطلح

انطلاقا من الفراغات المسجلة، والعقبات المعترضة والتطلعات المنشودة للمساهمة في توفير المصطلحات التقنية، سعت ـ بروسيدار ـ، وهي في عز التعرض لكثير من العناء في العثور على المصطلحات العربية المناسبة للتعبير عن الأداءات والأدوات والمنشآت، والتصاميم الواردة بلغتها الأجنبية، الغزيرة المصطلحات المستحدثة، والمزامنة لآخر طراز، إلى الانكباب على معالجتها ميدانيا بالاطلاع والتنقيب والبحث عن كنه هاته المستحدثات، ثم وضع المقابلات المناسبة لها عربيا. (لوحة رقم 3)

وتعتمد مؤسسة ـ بروسيدار ـ في هذا التحرك على واقعها اللغوي المعيش كنموذج صناعي يحتاج باستمرار على إنتاج مصطلحاتي مواز، متنوع الانتاج التقني للتعبير لغة عن حركة العمل الانتاجي في هذا الحقل المميز. فاللغة التخصصية تأتي بالدقة والفهم الميسر إضافة الى المساهمة في الإثراء اللغوي.

وتطمح مؤسسة - بروسيدار - إلى إنشاء « قطب للغة التقنية » انطلاقا من قاعدتها العمالية المنتجة والمستعملة لهاته المصطلحات التقنية والمروجة لها بقنواتها الاتصالية كالشرائح (المرفقة بالصورة والتسمية)، والمؤلفات... وكلها تعمل على نقل المصطلحات إلى المهتمين وعلى تنقلها بين المستعملين تعريفا بها.

وتتلخص هاته التجربة في أربعة كتيبات (4) تم وضعها حتى الآن، تعتبر كدلائل عمل، تراعي المستوى اللغوي لعاملي القطاع الصناعي، وخصوصياتهم وتميزهم وهي:

1 - ورقات عن اللغة العربية بالجزائر:

يتعرض إلى تصادمات الأفكار، والتطلبات العقلية، والتكوينات الضرورية للاستجابة للاحتياجات الصناعية، بالتعرض إلى قضية الأمية، والتكوين التقني، والتعريب، وإشكاليات الترجمة. طبع عام 1989. 54 ص. من تقديم شحادة الخوري / خبير سابق بالألكسو.

2 - وضع المصطلحات:

دليل عمل لوضع المصطلحات التقنية، حسب التوصيات والمناهج، مع نماذج من عينات كيفية وضع المصطلحات انطلاقا من المواد. طبع عام 1992. 152ص. من تقديم الخليل النحوي / الكسو.

3 - معجم المهن:

(فرنسي - عربي) 1100 مهنة تقنية، بالتعاون مع المنظمة الدولية للعمل (B.I.T) وتقديم الألكسو. مراجعة مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وبمساهمة الاتحاد العربي للحديد والصلب. محاولة لتوحيد المصطلحات المهنية وطنيا وعربيا.

4 - سياق الصنع بورشات مؤسسة - بروسيدار -

يوظف مصطلحات تقنية منتجة بهاته المؤسسة انطلاقا من منتجاتها وخدماتها ضمن مواضيع تعالج قضايا الصناعة، مع لقطات عن ورشات - بروسيدار - مُحلّى بالصور. تقديم الأستاذ محمد الميلي، مدير عام الالكسو. مراجعة مكتب تنسيق التعريب بالرباط. وبالتعاون مع الاتحاد العربي للحديد والصلب. - تحت الطبع -

ويعود الفضل في إنتاج هاته الكتيبات إلى التعاون الملاحظ مع الهيئات المتخصصة، والتشجيعات الواردة من أطراف لغوية.

جذاذة نموذجية لوضع المصطلح

حـنـيّـة = Tente en acier

☐ تقني

☐ صناعي

☐ إداري..

☐ .....

جفرة : ☐☐☐☐

حرف : ☐☐☐☐☐

تاريخ : ☐☐☐☐

تعريف المنتوج :

إنتاج جديد ينجز انطلاقا من منتوج الصفيح القابل للتركيب والتفكيك لتشكيل هيكل يشبه «الخيمة» تصلح للإقامة المتنوعة.

المنتج المبدع :

تختص مؤسسة «بروسيدار» بإنجاز هذا النوع من المباني مع تسويقه. التسمية باللغة الفرنسية تجلت بالصدفة وشاعت. ويبقى من اختصاصات المؤسسة المنتجة البحث عن المصطلح اللائق باللغة العربية.

البحث :

2 ـ المنجد : الخيمة كل بيت ليس من حجارة أو ما يقوم مقامها.

عناصر الاستنتاج :

تتضح مميزات الخيمة العادية من البحث، ويسجل الفراغ الاصطلاحي اللغوي، المتعلق بهذا النوع من المباني (الخيمة الفولاذية) حسب الترجمة الحرفية، والتي تنزل إلى الاستعمال اللغوي الركيك لذلك:

1 ـ من واجب المؤسسة وضع تسمية لائقة بهذا المنتوج البنائي الجديد.

2 ـ إيجاد تسمية فصيحة اللغة وأكثر دقة.

3 ـ اختيار تسمية لائقة تستجيب والمتطلبات الراهنة.

علامة التسويق.

سهولة الترويج والاستعمال.

3 ـ الكمال اللغوي.

النتيجة :

تقترح المؤسسة، وتستعمل مصطلحا جديدا في عالم الاستعمال من باب الاستعارة من المنجد ليكون: الحنيّة جمع حنايا وهي القوس أو ما كان منحنيا كالقوس.

المنتوج	التعريف	المصطلح المقترح
Germoir	وعاء معدني للفلاحة المائية (بدون تربة، بدون تغذية)، للحصول على أعشاب خضراء بواسطة نبات حبوب الشعير أو فصائل أخرى مماثلة.	مُنبِت منابت
Tente en acier	خيمة من الصفيح المعدني، تخصص لعدة استعمالات حيوية كـ: الإقامة، التخييم، الشغل، حسب مقاسات مختلفة، سهلة التركيب والتفكيك.	الحنيّة / الحنايا
Bâtiment avicole	مبنى من النمط المغلق يمتاز بتهوية نشطة طولية محصل عليها بأجهزة هواء كبيرة. يخصص لتربية أنواع الدجاج عن طريق الأقفصة المختلفة الطوابق.	مبنى حاضنات الدواجن
Panneau Isotherme	صفيحتان من الصلب المجلفن: إحداهما مسطحة وثانيتهما مضلعة بينهما رغوة «البلوريتان» الصلبة المتحصل عليها بالنفخ. يمتاز هذا المنتوج بطريقته الحديثة في عزل الحرارة. يستعمل في عدة مجالات بنائية كـ: تغطية المصانع والورشات. من فوائده: الصلابة ومقاومة النيران.	ألواح العزل الحراري
Bâtiment voûte	بناء على شكل قبة، يتم انطلاقا من الألواح المقببة يقام على مبادئ الاعتماد الذاتي، بدون هياكل الإنشاء ابتداء من تقويسات محكمة فيما بينها ببراغي.	المبنى المقبب
Frofileuse	آلة ذات بكرات تشكل صفائح بأضلاع ذات قياس 40 مم عمقا انطلاقا من الصفائح المسطحة المجلفنة.	المضلّعة
Tôle nervurée (TN) 40	يحصل عليها بفضل المضلعة. قابلة للدهن بالألوان المختلفة، ذات وزن وطول، وسمك، وعرض... حسب طلب الزبون... ذات استعمالات مختلفة كتغطية المنازل... ومن فوائدها الخفة.	الصفيحة المضلعة
Panneaux voûtes	اللوحة المقببة. مع اللك المسبق لصفيحة الصلب المجلفن. تشكل بورشة من ورشات «بروسيدار» تسمح بإنجاز مباني نصف دائرية.	الألواح المقببة

الهوامش :

(1) شحادة الخوري، القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية. مطبعة الكاتب العربي. ص 14، دمشق، 1991.

(2) تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 130.

(3) الخليل النحوي، في مقدمته لكتابنا « وضع المصطلحات »، ص 8، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992.

(4) محمد ابراهيم الميلي، مجلة الوطن العربي، عدد 387.

(5) شحادة الخوري، ص 27، نفس المرجع السابق.

(6) انظر: محمد طبي، تجربة وزارة الصناعة الثقيلة الجزائرية في تعريب الوثائق، مجلة اللسان العربي، عدد 35، ص 158، الرباط 1991.

(7) شحادة الخوري، ص 29، نفس المرجع السابق.

(8) شحادة الخوري، ص 66، نفس المرجع السابق.

(9) كتابنا، ورقات عن اللغة العربية بالجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص 35، الجزائر، 1989.